الوحدة الوطنية تتجسد بأنصع صورها في بناء القوات المسلحة والأمن على أسس وطنية حديثة

عبدربه منصور هادي - رئيس الجمهورية

14 أكتوبر
14 OCTOBER
Email: 14october@14october.com
www.14october.com

هيكل يتحدث عن ظروف وآثار الدعم القومي من مصر عبد الناصر لثورة اليمن

هل يمكن أن يكون هناك تقييم للتدخل العسكري المصري في اليمن لا يأخذ في حسابه الظروف السياسية التي كانت تسود العالم العربي وقتها؟

كان ذلك بعد مؤامرة الانفصال، ونحن نذكر ملابساتها وما جرى في سوريا وقتها، وكان ذلك في أعقاب مؤتمر «شتورة» الذي اتخذه النظام الانفصالي في سوريا منبراً للهجوم على الحركة الوطنية العربية، وكان يبدو أن القوى المعادية للتقدم العربي تريد أن تخنق كل صوت ينادى بالتحرر العربي..

وفى ذلك الوقت جاءت ثورة اليمن، وانقضت عليها العواصف، ولا أريد أن أعود إلى التفاصيل حتى لا أنكأ جراحاً قديمة شفاها الزمن فيما أتمنى..

وفى يوم عصيب من أيام شهر أكتوبر 1962 كانت ثورة اليمن الوليدة وحدها في مهب العاصفة.

الرئيس السلال مع أنور السادات

وفى القاهرة كانت هناك مشاورات مستمرة بعد أن طلبت الثورة الوليدة نجدة من مصر بدورها وحجمها فى العالم العربي في ذلك الوقت..

وكان أنور السادات أكثر الناس اهتماماً بهذا الموضوع في القاهرة لأن اختصاصه السياسي فى القيادة المصرية كان يشمل ضمن ما يشمل شئون اليمن والجنوب العربي والخليج، وكانت توصية أنور السادات - في نطاق اختصاصه - تتلخص في أن مصر لا يسعها أن تتفرج على ما يجرى في اليمن مكتوفة اليدين، وأن الواجب القومي يحتم عليها أن تتدخل عسكرياً - خصوصاً بالطيران - لرد العاصفة عن الثورة اليمنية.

ودارت مناقشات واسعة حول هذه التوصية.. وأتذكر أنه كان لي في الموضوع رأى يختلف، وقد قلته لجمال عبد الناصر، وأتجرأ فأقول ذلك لأن جمال عبد الناصر أشار إلى رأيي في آخر جلسة حضرها لمجلس الوزراء قبل رحيله، وما قاله في هذا الصدد مسجل بصوته في وثائق مجلس الوزراء... شاهداً ومرجعاً..

كان رأيي في ذلك الوقت يتلخص فيما يلي:

- أنني لا أعرف إذا كانت الظروف الموضوعية في اليمن مهيأة لنجاح الثورة..

- ثم أنني لا أعرف إذا كانت الثورة التي قامت في اليمن تستطيع أن تتحمل عملياً ثقل التدخل العسكري المصري في اليمن، وبواسطة القوات المسلحة المصرية.

وسألني جمال عبد الناصر سؤالاً مباشراً:

- هل معنى ذلك أن نترك الثورة اليمنية وحيدة يسهل ضربها... وماذا يحدث للحركة العربية العامة إذن؟

وقلت:

- إنني أدرك أهمية نجدة ثورة اليمن، ولهذا فإني أقترح تشكيل قوات متطوعين عرب من كل البلاد العربية يذهبون إلى اليمن للقتال في صفوف الثورة».

وأضفت متحمسا:

- لماذا لا نجعل اليمن معركة شعبية للحرية بمثل ما كانت الحرب الأهلية في أسبانيا معركة شعبية للحرية، وحتى لو أننا خسرنا المعركة فإن الخسارة ستتحول إلى أسطورة في النضال العربي تلهم وتلهب خيال أجيال بعد أجيال..

ذلك أسلم في رأيي من الزج بالقوات المسلحة المصرية في ظروف شاقة معظمها مجهول..».

ثم قلت للرئيس وقتها:

- لدى دراسة قام بها باحث مصري عن الأحوال في اليمن وعن تاريخه المعاصر، وأريدك أن تقرأها، وسوف أرسلها لك..

(أشار جمال عبد الناصر إلى هذه الدراسة في التسجيل الموجود بصوته في سجلات مجلس الوزراء في آخر جلسة حضرها قبل الرحيل).

كان الرأي المقابل لرأيي وقتها يتلخص فيما يلي:

- أن أمن ومستقبل الحركة الوطنية العربية معلق في الميزان..

- أن الوقت لا يحتمل التردد، وإلا ضاعت الثورة اليمنية..

- أن تدخل بعض قوات الصاعقة، وسرب واحد من الطيران يكفى..

وبهذا المنطق تدخلت مصر لنجدة الثورة في اليمن وكان أنور السادات ارسل المدد العسكري لحماية الثورة في اليمن وأنني كنت على خطأ لأنني نظرت إلى الموضوع من وجهة نظر مصرية إقليمية بحتة، وذلك لا يجوز إزاء مسؤولية مصر ودورها القومي..

ذلك لأن الزاوية القومية هي الزاوية التي يجب أن نقيس منها التدخل في اليمن، فلقد أحدث التدخل المصري في اليمن آثاراً واسعة المدى ألخصها فيما يلي:

1 - لقد خرج الاستعمار البريطاني من شبه الجزيرة العربية واستقل الجنوب واستقل الخليج.

2 - تحت ضغط التدخل المصري فإن السيطرة الأمريكية اضطرت إلى إرخاء قبضتها المسيطرة على الموارد العربية في شبه الجزيرة واتخذت موقفاً أكثر تلاؤماً مع الأنظمة الوطنية وسمحت لها بـدور متزايد في توجيه أمور ثرواتها..

3 - إن الدول الوطنية في هذه المنطقة اتجهت تحت ضغط الظروف إلى «التحديث» وقد كان من النتائج المباشرة لتطورات المعارك في اليمن أن اعتلى الملك فيصل عرش السعودية، وبدأت عملية «التحديث» في المملكة تحت توجيهه، وراحت الأسرة في السعودية تتحول إلى دولة..

وهذه كلها منجزات تاريخية ضخمة لا يمكن تقييم التدخل المصري في اليمن بغير إدخالها في الحساب بصرف النظر عن الثمن الذي دفعته مصر.. وإذا أردنا أن نناقش الثمن الذي دفعته مصر فإن ذلك سوف يقودنا إلى تأمل الظروف التي اتسعت فيها حرب اليمن..

إن الحرب اتسعت لا لأن هذا الطرف العربي أو ذاك تدخل فيها، وإنما اتسعت الحرب حينما تدخلت فيها قوى السيطرة العالمية، وفى مقدمتها إدارة المخابرات المركزية الأمريكية التي جندت للحرب آلافاً من الجند المرتزقة الأجانب - إنجليز وألمان وفرنسيين وأمريكيين - وقصة هؤلاء ذائعة مشهورة، ولكن ذاكرتنا ضعيفة ننسى بسهولة ما هو حقٌ لنا ونبتلع بسهولةٍ دعاوى الآخرين علينا..

ننسى أنه في وقتٍ من الأوقات كان هناك أكثر من خمسة عشر ألفاً من الجنود المرتزقة الأجانب في اليمن..

وننسى أن لندن - كما حدث في حالة أنجولا - كانت مركز تجنيدهم وتسليحهم وإرسالهم إلى اليمن..

أكثر من ذلك.. ماذا أقول؟

هل أقول - والقول صحيح - أن المخابرات المركزية الأمريكية كانت تجند المرتزقة الأجانب للحرب في اليمن وأنها كانت مسئولة عن عملياتهم وعن التنسيق بينهم وبين دور لإسرائيل فى مساعدتهم؟

هل أقول - والقول الصحيح - أن إسرائيل كانت تتولى مسؤولية إلقاء الذخائر والأسلحة بالطائرات لهؤلاء الجنود المرتزقة الأجانب في مناطق محددة في جبال اليمن؟.

هل أقول - والقول صحيح - أن الرئيس الأمريكى جون كنيدي كان يعلم بحقيقة ما يجرى في اليمن، وكان أحد مساعديه وهو المستر كومار هو ضابط التنسيق بين البيت الأبيض وإدارة المخابرات المركزية الأمريكية، وكان كنيدي يسمى حرب اليمن بقوله: «حرب كومار الخاصة»؟.

وإذا قلت بذلك - إذن ألا نكون وضعنا حرب اليمن في سياقها الصحيح من قصة النضال العربي المعاصر..

- إطارها مسؤولية مصر القومية..

- ظروفها الصراع المتصل بين الحركة الوطنية العربية وبين قوى السيطرة العالمية.

- ونتائجها ليس فقط ما دفعته مصر من تضحيات في اليمن، ولكن هذا التحول الضخم الذي نراه الآن في شبه الجزيرة العربية، وعند طرفها الجنوبي، وعلى شطآن الخليج!..

من كتاب (لمصر لا لعبد الناصر - الحديث الرابع بعنوان : حكايات المذابح اليمن .. القضاء .. حرية الصحافة) للكاتب محمد حسنين هيكل

الكاتب والصحافي المصري الراحل يوسف الشريف:

اليمن وأهل اليمن .. أربعون زيارة وألف حكاية

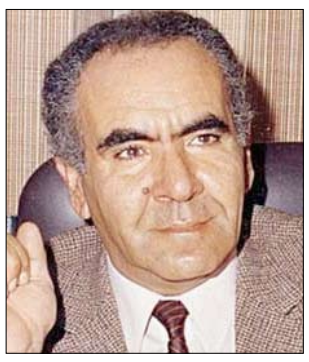

القاهرة/ متابعات:

في خمسمائة صفحة من القطع الكبير ومزود بملحق من الصور صدر للكاتب والصحافي يوسف الشريف سفره الجديد (اليمن وأهل اليمن، أربعون زيارة وألف حكاية) عن دار الشروق للطبع والنشر ، وقدم للكتاب الدكتور محسن العيني رئيس الوزراء اليمني الأسبق الذي أشار إلى أن علاقة الشريف باليمن بدأت مع ثورة السادس والعشرين من سبتمبر 1962 مع طلائع اليمنيين الأحرار في القاهرة، غير أن الكتاب يستعرض تاريخ اليمن القديم ويكشف - حسب التقديم - عن الصلات بين مصر واليمن وعلاقات ومصالح أمنية واقتصادية وإستراتيجية، وكذلك تناول العديد من الشواهد التي تدل على صلة بين الحضارة المصرية الفرعونية وحضارة اليمنيين.

ويقول الدكتور العيني: أبرز الكتاب دور مصر في دعم الثورة اليمنية في الشمال ودعم حركة التحرير في الجنوب وكذلك إبراز تضحيات الجنود المجهولين وما قدموه من أجل مصر ومن أجل اليمن، وركز علي أهمية ذلك عبر العلاقات التي يجب أن تقوم بين البلدين.

ويضيف العيني أن الكتاب لا يكاد يترك موضوعا إلا طرقه، تحدث عن صنعاء وأسواقها ومبانيها، وكوكبان وتعز وعدن وشبام وحضرموت، عن بازرعة في القاهرة والأديب علي أحمد باكثير، عن مخبازة الشيباني، عن المرأة اليمنية ودورها في القصة والأزياء والفل، عن المغتربين، عن المذهب الشيعي والحوثي وعن القبائل والقات والسلاح.

أما يوسف الشريف في مقدمته فينطلق من بداية الثورة اليمنية التي قضت علي حكم الإمامية الذي دام ثلاثمائة عام والاحتلال البريطاني الذي دام أكثر من مئة وخمسين عاما منذ عام 1839م.

يقول الشريف: إذا كانت مصر قد عبأت مـواردهـا وحشدت إمكاناتها ودفعت بقواتها وأسلحتها وعتادها عبر جسرين بحري وجوي للقتال إلى جانب ثوار اليمن، حيث امتزجت الدماء وتعانقت أرواح الشهداء اليمنيين والمصريين، فلا شك أن هذه الملحمة النضالية سابقة سياسية وشعبية مقدرة في سجل التاريخ العربي المعاصر وانحياز مشهود لدعوة القومية العربية، بالنظر إلى الانتصار الذي تحقق للثورتين، ثم تتويج ذلك الانتصار المؤزر بإعلان الوحدة بين شطري اليمن يوم 22 مايو عام 1990 .

أما عن الدور المصري في اليمن في ضوء حسابات الربح والخسارة فيقول إن المصريين هم الذين تراخوا حكومات وشعبا عن جني الثمرات، لا علي النمط الاستعماري، وإنما على النحو الذي يعزز من تمتين اللحمة السياسية والشعبية، وتكامل المصالح المشتركة، والتنسيق في إطار منظومة الأمن القومي العربي، بالنظر لموقع البلدين الحاكم لمدخلي البحر الأحمر الشمالي والجنوبي.

ويضيف الشريف: أن المبادرة الوحيدة علي هذا الصعيد، حين كان علي مصر إغـلاق بـاب المندب في وجـه الملاحة الإسرائيلية إبان حرب (أكتوبر) 1973، من دون إذن أو تشاور مع السلطات اليمنية لدواعي المفاجآت الإستراتيجية، ولم يكن ليتحقق ذلك فيما لو كانت الإمامة المتوكلية علي سدة الحكم في صنعاء، وبريطانيا متمترسة في قاعدتها العسكرية في عدن.

أمـا عن مـوقف من يسميهم يوسف الشريف بـ كتاب الردة مشيرا إلى الهجوم الـذي حدث علي الموقف المصري من اليمن بعد رحيل عبدا لناصر فيقول عنه انه كان تنديدا مسعورا أنبنى علي كونه سبب خرابا اقتصاديا لمصر وتسبب في نكستها العسكرية في (يونيو) 1967 علي حد زعمهم، إلي حد اغتيال شخصية وسمعة جمال عبدا لناصر ضمنيا، عبر التكفير بكل ما تبناه ودعا له من مبادئ التضامن القومي، وسعيه إلى دعم حركات التحرر العربي.

ويضيف الشريف هنا: لم تكن رموز الثورة المضادة تمارس نشاطها السياسي والفكري والدعائي المشبوه بإمكاناتها الذاتية، ولكنها وجدت السند والدعم من الرجعية العربية وخزائنها، ومن أعداء حركة التحرر العربي دون حساب.

ويرد الكاتب انه علينا أن نعترف بصدق وموضوعية أن دعاة الردة خاب فألهم وفشل مخططهم المشبوه الرامي إلى تشويه الـدور المصري في اليمن أو تقزيمه، لأن الذاكرة التاريخية راحت تفضح كل ما روجوه من افتراءات وأكاذيب عبر الندوات الحوارية والبحثية التي تجمع بين النخب الثقافية والسياسية في مصر واليمن تحت شعار تمتين وترشيد ودعم العلاقات بين البلدين، وشهادات الشهود الراحلين والأحياء علي ملحمة النضال اليمني المشترك.

ويقر المؤلف أن مادة كتابه اعتمدت علي تجربته ورؤيته الشخصية للتطورات والوقائع التي عايشها وعلي اختياره أسلوبا بسيطا في الكتابة عنها وعبر اختيار ما يؤكد علي مصداقيتها من الحكايات والروايات المتاحة ولعلها الأحرى بالمتابعة والإسهام في استيعاب مضمونها - حسب الشريف - الذي يؤكد علي حرصه قصر كتابته علي الصفوة فحسب بل يكتب للمهتمين وغير المهتمين، ويشير أيضا إلي عبوره سريعا علي المعروف والمتداول سلفا من المعلومات والولوج إلى ما وراء الكواليس من الدولارات والأسرار.

يتناول الشريف العلاقات المصرية اليمنية في بعدها التاريخي منذ العصر الفرعوني، ثم عرش سبأ والملكة بلقيس ثم يكتب تفصيلا عن عمارة اليمني أول سفير لليمن في مصر إبان الحكم الفاطمي ثم السفير اليمني بالقاهرة في عصر الإمام يحيي حميد الدين وهو السيد علي المؤيد، كذلك يتناول جيش محمد علي وحملته العسكرية إلى الحجاز والاتجاه إلي اليمن وانتزاعه تهامة من يد محمد بن مسعود عام 1818 وإعادتها إلى اليمن إبان حكم الإمام المتوكل علي الله أحمد بن علي، وعودة محمد علي ثانية إلى اليمن لمواجهة الانكليز الذين ورثوا النفوذ البرتغالي في المنطقة، إذ كان الانكليز - حسب المؤلف - قد وجهوا مدافعهم البحرية وقصفوا ميناء المخا، ثم أجبروا إمام اليمن علي منحهم مركزاً عسكريا، حيث تمكنت الحملة العسكرية المصرية من تحرير جميع مناطق تهامة عام 1832 وحتى وصلت إلى مرتفعات تعز.

يتناول الشريف أيضا شخصية الفضيل الورتلاني أحد قادة تمرد ثورة الأحرار في اليمن عام 1948، وهو التمرد الذي فشل، وأعدم الإمام أحمد معظم قواده، ويشير الشريف إلى أن الفضيل الورتلاني أسس شركة تجارية مقرها سوق الملح في صنعاء، لتغطية نشاطات النضال الوطني، وكان علي رأسها المناضل علي محمد السنيدار، ومجموعة من التجار المستنيرين وغيرهم من الأحرار، حيث كانوا يعقدون الاجتماعات التي تستهدف التخطيط للقيام بالثورة، وتأسيس حكم دستوري ديمقراطي برئاسة الإمام المرتقب عبدالله بن الوزير، حتى انضم إليهم تباعا عدد من العسكريين الذين شكلوا خلية ثورية برئاسة المناضل العراقي الكبير جمال جميل.

وتستمر حكايات يوسف الشريف حول التدخل المصري في اليمن ومأزق الاحتلال العثماني، حرب الخطاط وحرب فلسطين، زعامات الأحرار في القاهرة، فشل السكري في اغتيال الإمام، مجلة الحكمة، استشهاد الضباط الأحرار، الملكيون يركبون الجبال، اليمن ونكسة حزيران (يونيو)، إغلاق باب المندب، شهادة المشير عبدالله السلال، وهي الشهادة التي يشن فيها هجوما كثيفا علي الدكتور عبد الرحمن البيضاني الذي قدم نفسه في بداية الثورة اليمنية علي أنه واحد من المؤثرين الحقيقيين فيها، ويقول الشريف ان البيضاني علي العكس من ذلك لعب أدوارا سلبية في بداية مسيرة الثورة سواء في منازعة الثوار علي سلطة السيادة ومناصبها، أو عبر فتح جبهات للخلاف الطائفي المرير مع أنصار المذهب الزيدي والهاشميين ولم تتمكن الثورة بعد من تثبيت أقدامها، ويشير الشريف إلـى أن البيضاني لم يكف عن إثارة النعرات الطائفية والادعاء باضطهاد الشوافع تحديد، وهو أيضا واحد من الذين شنوا هجوما صارخا علي جمال عبدالناصر.

ويذكر أيضا أن البيضاني كان قد التحق بحركة الأحرار اليمنيين في القاهرة عام 1960 غير أنه سرعان ما اصطدم مع زعيمي الحركة آنـذاك القاضي محمد محمود الزبيري والأستاذ أحمد محمد نعمان، وهما قد أفاضا في أسباب إبعاده وعزل من الاتحاد اليمني الذي كان يمثل تجمع المعارضة اليمنية، لأنه فاق بتعصبه الطائفي والعرقي السافر كل المتعصبين من قبله - حسب المؤلف - ويذكر الشريف نص البيان المعنون الأحرار إلي الأحرار الذي نشرته جريدة العمال بعدن في 16 أيلول (سبتمبر) عام 1962 أي قبل عشرة أيام من اندلاع الثورة اليمنية وينقل مئة جزء مما قاله الزبيري والنعمان.

في حق البيضاني: جاء على آخر الزمان طارئ جديد علي صفوف الحركة الوطنية يطالبنا بالمنكر، ويدعونا الي جريمة الانشقاق بين أبناء الشعب، والاعتماد عليها - كما يزعم - في تحقيق الثورة، وما أشبه طلبه هذا بمن يحاول تطهير قرية من ميكروب الملاريا فيضربها بالقنابل الذرية، ويقول ولقد ذكرنا بالعبد الأبله الذي حاول ان يطيّر الذباب عن جبين سيده، فرمى صخرة ضخمة حطمت جبين سيده دون الذباب الذي طار قبل أن تلحقه الصخرة.

ويقول الشريف: لا أنسي وقتئذ أن مجلة (روزاليوسف) تلقت العديد من رسائل اليمنيين التي كانت تحتج على نشر مذكرات البيضاني عن اليمن، وهكذا تقرر وقفها بالتزامن مع استبعاد البيضاني من الحديث عن اليمن في إذاعة صوت العرب، وقد اعترف البيضاني نفسه في احدي لحظات تجلية أن جمال عبدا لناصر قال له : كيف تقبل على نفسك وأنت رجل مثقف، احتراف العمل الطائفي؟ .

العيد الخمسون لثورة سبتمبر الخالدة

اليمن الجديد يعني العدالة والمساواة بين المواطنين